

تعايش العربية والمازيغية في المجتمع المزابي

دراسة لآراء عينة من المثقفين بقصر بني يسجن

Habbaina.salima@univ-ghardaia.dz

سليمة حبه عينة*
مخبر التراث، كلية الآداب،
جامعة غرداية - الجزائر

ybenyahia@univ-ghardaia.dz

يحي بن يحي
مخبر التراث، كلية الآداب،
جامعة غرداية - الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/02/23 تاريخ القبول: 2022/03/24

ملخص

تهدف البحوث اللسانية الاجتماعية عادة إلى معالجة الظواهر التي تمتاز فيها اللغة بقضايا المجتمع والإنسان، وهو ما تستهدفه دراستنا هذه، من خلال محاولة البحث عما ينتج عن تجاور اللغات من تعايش أو صراع، طلبا للأسباب والعوامل المساعدة على ذلك. وغاية هذا المقال الكشف عن سر التعايش اللغوي في بيئة من البيئات المتعددة الألسن، كما هو الحال في المناطق الناطقة بالمزابية في الجزائر.

ومن خلال مقارنة لسانية اجتماعية لواقع الممارسة اللغوية في إحدى هذه المناطق المتواجدة بالجنوب الجزائري تمثل في منطقة وادي مزاب، والتي تتميز بثنائية لغوية تحمل مؤشرات للتعايش بين اللسانين العربي والمزابي، تحاول الدراسة الإجابة عن تساؤل جوهري مفاده: ما حقيقة تعايش اللغتين العربية والمزابية في المجتمع المزابي؟ وتتفرّع عنه أسئلة جزئية مثل: ما موقف المثقف المزابي المزابي من مجاورة العربية للغته الأم؟ وما هي العوامل المساعدة على التعايش بين اللغتين؟... إلخ

وبفضل سؤال عينة من المثقفين ذكورا وإناثا باستعمال الاستبيان، تمكّنت الدراسة من رصد بعض معالم الممارسة اللغوية في هذا المجتمع، متمثلة في الارتباط الكبير لأفراده بكلتي اللغتين (العربية والمزابية) مما يظهر في نسبة الاهتمام بكل منهما والإلتقان لهما، وتوظيف كل منهما في المقام المناسب لها دون وجود تصادم، مما يجسد التعايش بين اللغتين داخل المجتمع، وانتهت

الدراسة إلى استنتاج مفاده أنّ عوامل سياسية وأخرى لسانية اجتماعية تكون وراء هذا التعايش، والدور البارز فيه كان للعامل الديني متمثلا في العناية الخاصة لهذا المجتمع بالقرآن الكريم وتشبّع ثقافته بالمرجعية الدينية.

الكلمات المفتاحية:

اللسانيات الاجتماعية - ثنائية اللغوية - التعايش - المازيغية - مزاب - الجزائر.

Cohabitation des deux langues arabe et tamazight au sein de la société mozabite

Etude de points de vu d'un échantillon d'intellectuels de Béni-Isguen

Résumé

Les études sociolinguistiques traitent habituellement des phénomènes où la langue interagit avec les préoccupations de la société, objet de la présente étude, explorant ce qui résulte de l'usage concomitant de langues: cohabitation ou affrontement, causes et facteurs.

Cet article consiste à mettre en évidence ce qui se cache derrière la cohabitation linguistique dans une société plurilingue, comme c'est le cas dans diverses régions amazighs d'Algérie.

Selon une approche sociolinguistique de la pratique langagière dans une de ces régions du sud algérien, l'Oued Mzab, pratiquant un bilinguisme portant des signes de cohabitation entre l'arabe et tamazight. L'étude tente de répondre à une question fondamentale: qu'en est-il de la cohabitation entre ces deux langues? S'ensuit des questions partielles comme: qu'elle est la vision de l'intellectuel amazigh mozabite vis-à-vis de l'existence de l'arabe avec sa langue maternelle? Ya-t-il des facteurs favorisant la cohabitation entre elles?...etc.

A partir d'un questionnaire destiné à un échantillon d'intellectuels des deux genres, l'étude suggère quelques repères de la pratique langagière de cette société: le grand attachement de ses membres aux deux langues relevant du pourcentage de l'intérêt et de la maîtrise de chacune. En parallèle leurs emplois concordant avec le contexte approprié et sans antagonisme, dévoile la cohabitation en question. La présente étude a souligné des facteurs politiques et sociolinguistiques se cachant derrière cette cohabitation, ainsi que le rôle évident de la religion se percevant à travers l'intérêt unique accordé au Saint Coran associé à une culture à référence religieuse.

Mots clés:

Sociolinguistique - Bilinguisme - Cohabitation - Tamazight - Mzab - Algérie.

Cohabitation of the two Arabic and Tamazight languages within mozabite society

Study of sample views of Beni-Isguen intellectuals

Abstract

Sociolinguistic studies usually deal with phenomena in which language interacts with the concerns of society, the subject of this study, exploring what results from the concomitant use of languages: cohabitation or confrontation, causes and factors.

This article aims to highlight what lies behind linguistic cohabitation in a plurilingual society, as is the case in various amazigh regions of Algeria.

According to a sociolinguistic approach to language practice in one of these regions of southern Algeria, the Oued Mzab, practicing bilingualism bearing signs of cohabitation between Arabic and Tamazight. The study tries to answer a fundamental question: what about the cohabitation between these two languages? This is followed by partial questions such as: what is the vision of the amazigh mozabite intellectual vis-à-vis the existence of Arabic with its mother tongue? Are there factors that promote cohabitation between them?...etc.

From a questionnaire intended for a sample of intellectuals of both genders, the study suggests some points of reference for the language practice of this society: the great attachment of its members to the two languages falling within the percentage of interest and mastery of each. At the same time, their jobs consistent with the appropriate context and without antagonism reveal the cohabitation in question. The present

study has highlighted the political and sociolinguistic factors behind this cohabitation, as well as the obvious role of religion perceived through the unique interest accorded to the Holy Quran associated with a culture with religious reference.

Keywords:

Sociolinguistics - Bilingualism - Cohabitation - Tamazight - Mzab - Algeria.

مقدمة

اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، إنها من المكونات الثقافية التي تحدّد هوية المجتمعات وطبيعتها، بل وتبنى عليها الثقافات والحضارات وتتمايز فيما بينها، وذلك لاختلاف اللغات في أصولها وخصائصها وانتشارها وتأقلمها مع التغيرات التي تطرأ على المجتمعات على مرّ الأزمان والعصور. فهي بشكل طبيعي تتأثر بالمحيط الذي تستخدم فيه مثلما تؤثر فيه، وهو ما يؤكد على أهمية دراسة اللغة مرتبطة بالمجتمع مما تختص به اللسانيات الاجتماعية، ويصبح البحث أكثر ثراء في هذا المجال حين يتعلق الأمر بحياة اللغات وتعددها في المجتمع الواحد وتفاعلها مع بعضها.

ومن المجتمعات التي تعتبر بيئة خصبة لمثل هذه الدراسات، المجتمع الجزائري؛ فالجزائر من بلدان الشمال الإفريقي التي استوطنها البربر الناطقون باللغة المازيغية قبل الفتح الإسلامي له من قبل المسلمين العرب، وهذه الحقيقة التاريخية نتجت عنها ثلاثة معطيات رئيسة تتأسس عليها هذه الدراسة:

أولاً: كون المجتمع الجزائري في غالبيته العظمى مسلماً.

ثانياً: كون الجزائر متضمنة أصليين عرقيين كبيرين هما الأمازيغ والعرب.

ثالثاً: كون الأمازيغ في الجزائر يستعملون المازيغية باعتبارها لغة منشأ، والعربية باعتبارها لغة دين.

وهذا يوحي مبدئياً بازدواجية اللسان (Diglossie) في المجتمع الجزائري، إلا أن المتعمق في دراسة الواقع اللغوي لهذا المجتمع يكتشف في الحقيقة أنه متعدّد اللغات (Pluri-lingue) كما تشير إليه خولة طالب الإبراهيمي، نظراً لوجود اللغة العربية الفصحى إضافة إلى العامية الجزائرية بما فيها من تنوع لهجي، واللغة المازيغية بلهجاتها المتعددة وعلى رأسها القبائلية والشاوية والمزابية والترقية، وكذا اللغات الأجنبية الناتجة عمّا مرت به الجزائر من حقب استعمارية مع أشكال أخرى من الاحتكاك بالأتراك والإسبان...، والأثر الأكبر كان للفرنسيين، فاللغة الفرنسية حاضرة في الجزائر بأشكال متعددة في التأليف والإعلام وغيرهما (Voir: Ibrahimi, 2004, p.207-218)، لكن يبقى المظهر الغالب والأبرز في الواقع

اللغوي الجزائري هو للثنائية اللغوية (Bilinguisme) المتمثلة في كون شريحة كبيرة من الجزائريين قادرة على استعمال لغتين اثنتين في آن واحد (ينظر: كالفني، 2008، ص وما بعدها)، هما العربية والمزایغية حتى إن الدستور الجزائري اعتبرهما لغتين رسميتين ومن مقومات الهوية الوطنية الجزائرية.

وحيث تتجاوز اللغات في الغالب وتحتك فيما بينها فإن القضية الأساسية المطروحة لدى اللسانيين هي مسألة الصراع اللغوي الذي يشير إليه هادي نهر في مثل قوله: «مثلما تتفاعل المجتمعات، وتتصارع إلى البناء والغلبة، فكذلك اللغات (...) وقد يؤدي صراعها مع غيرها إلى انتصارها، أو انكسارها، ومن ثم موتها واندثارها» (نهر، 1998، ص 109)، ولا يمكن إنكار وجود القانون الطبيعي الذي يمنح الغلبة للأقوى سواء بين الأفراد أو المجتمعات أو حتى بين اللغات مما تشير إليه هذه المقولة، وربما يفضي بها الأمر أحيانا إلى معركة وحرب كما يسميها لويس جان كالفني في كتابه (حرب اللغات)، وذلك بناء على اختلاف نظرة المجتمع لكل منها وحجم استعمالها واستحكامها (ينظر: كالفني، 2008، ص 123 وما بعدها) أو غلبة بعضها على حساب بعض في واقع الممارسة والتواصل، مما قد يؤدي إلى انتشار الغالبة وانحصار المغلوبة أو موتها. لكن إلى جانب ذلك يمكننا الحديث عما يبدو إلى حد ما على النقيض من هذه الفكرة وهو التعايش اللغوي، لاسيما وأن الموضوع يتعلق بلغات بشرية، حيث يتدخل الإنسان بعقله ليتحكم في هذا الصراع، وإن لم يستطع منعه لكونه ظاهرة طبيعية، فعلى الأقل يوجهه إلى ما يحد من سلبياته أو يعزز إيجابياته.

إشكالية الدراسة

نظرا لوجود مؤشرات تدلّ على ظاهرة التعايش اللغوي في الواقع الجزائري وبالأخص المزایي منه، سواء من خلال الملاحظة المباشرة للباحثين في الميدان أو من الاستنتاج العقلي المفضي إلى وجود ارتباط كبير للمجتمع باللغتين المزایبية والعربية على حد سواء، وذلك من منطلقين مختلفين؛ غريزي فيما يتعلق باللغة المزایبية، وديني فيما يتعلق باللغة العربية، فإن إثبات ذلك علميا وبلورة هذا المنظور يفرض الإجابة عن سؤال جوهري

مفاده: ما حقيقة التعايش اللغوي بين العربية والمزابية في المجتمع المزابي؟ وتتفرع عنه مجموعة من الأسئلة التي تتمحور عليها هذه الدراسة، وهي:

✓ ما موقع كل من اللغتين العربية والمزابية في المجتمع المزابي؟

✓ ما مدى التعايش والانسجام بين اللغتين في واقع الاستعمال؟

✓ ما هي العوامل المساعدة على هذا التعايش؟

✓ وما دور ارتباط المجتمع بالقرآن الكريم في ذلك؟

وبالإجابة عن هذه الأسئلة يتحقق الهدف المنشود من الدراسة.

أهداف الدراسة

محور هذه الدراسة ظاهرة التعايش اللغوي، وهدفها إثبات وجود هذه الظاهرة وإبراز مظاهرها ودواعيها في بيئة توفرت فيها الظروف المناسبة لتحقيق هذا التعايش متمثلة في المجتمع الجزائري بما يتميز به من ازدواجية في اللسان تأخذ فيه كل من اللغتين العربية والمزابية حيزا معتبرا من الاستعمال ومكانة معتبرة في الدولة الجزائرية بوصفهما لغتين رسميتين وطنيتين، ولتكون الدراسة أكثر عمقا في ظل تعدد اللهجات المزابية، كان لابد من اختيار لهجة محددة وهي (المزابية) المتواجدة في جنوب الجزائر، وبالضبط في منطقة (وادي مزاب) للنظر في مدى تعايشها مع العربية، ويعود هذا الاختيار بالأساس إلى كون الباحثين من أبناء المنطقة، مما يجعلها أولى بالاختيار وأقرب للدراسة، ثم إنها من الاهتمامات البحثية لفرقتنا (اللغة والمجتمع)، التابعة لمخبر البحث في التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري.

أهمية الدراسة

في ظل تركيز البحث اللساني على ظاهرة الصراع اللغوي التي تجعل اللغات في موقع الهجوم والدفاع، أو التدافع والتنافس فيما بينها قصد البقاء على قيد الحياة، تأتي أهمية طرح مسألة العلاقة بين اللغات من وجهة نظر أخرى وهي التعايش اللغوي الذي تتصالح فيه اللغات، ويكون لكل منها موقعها وأهميتها ودورها في التواصل بين الأفراد في مختلف الميادين الحيوية داخل المجتمع، وهي

ظاهرة إيجابية في نظرنا تستحق الاهتمام والتمكين بإقامة دراسات حولها وتعزيز أسبابها، بالأخص داخل المجتمع الواحد، حيث يتحقق الأمن اللغوي والثقافي في ظل التنوع اللغوي باعتباره نوعا من الثراء الثقافي الذي يسهم في البناء الحضاري المبني على علاقة التكامل فيما بين اللغات.

ثم إن هذا التعايش مبني في الأساس على التقبل والاهتمام الذي يوليه المجتمع لهذه اللغات، وإذا كان البحث اللساني يركز غالبا على الارتباط الوثيق للمجتمع بلغته الأم باعتبارها عنصرا من عناصر الهوية كما يقول جليبير غرانغيوم (غرانغيوم، 1995)، فإن هذه الدراسة تطرح نوعا آخر من الارتباط لا يقل أهمية عن هذه العلاقة الغريزية، وهو الارتباط الروحي للمجتمع بلغته الدينية، بافتراضه أن ارتباط الأمازيغ في سهل وادي مزاب باللغة العربية إضافة إلى لغتهم الأم (المزابية) راجع إلى تديّنهم بالإسلام، وبالأخص تعلّقهم بالقرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، والذي يحظى باهتمام كبير في المجتمع المزابي تلاوة وحفظا وتفسيرا وتعلّما.

كما أن هذه الدراسة إثراء للبحث العلمي اللساني في ظل قلة الدراسات حول اللسان المزابي وعلاقته بالمجتمع.

الإطار النظري والدراسات السابقة

الحقيقة أنّ الدراسات وإن تعدّدت عن اللغة المزابية عموما، فإنها لا تزال ناقصة عن المزابية تحديدا، بالأخص فيما يتعلّق بخصائص هذا اللسان أو بواقع استعماله في المجتمع الذي نُسب إليه (بنومزاب)، ومن بين أبرز المهتمين به أكاديميا الباحث عبد الله نوح (2017، Abdallah, NOUH) الذي نشر مقالا عنوانه: (-La vitalité du dialecte mo-zabite dépend-elle essentiellement de son enseignement officiel?)، حيث حاول من خلاله دراسة واقع الممارسة الحيوية لهذا اللسان والمعايير التي تحدد تلكم الحيوية، مشيرا إلى المتوفر والناقص منها، والمقال لا يناقش أساسا الإشكالية المطروحة في هذه الورقة البحثية والمتعلّقة بالتعايش اللغوي، وإنّما يشير إليها، ومثل هذه الإشارة موجودة كذلك في دراسة سابقة تابعة للمخبر الذي ننتهي إليه، للباحث يحي بن يحي عنوانها: (دور

التعليم القرآني في تعريب المشهد الثقافي المزابي المعاصر في الجزائر)، والتي استعان بها كذلك فيما يتعلق بدور التعليم القرآني في تكريس ظاهرة التعايش اللغوي بما أعطاه من بُعد ديني للاهتمام باللغة العربية مقابل البعد الفطري للاهتمام بالمزابية.

وبما أنّ المجتمع المزابي جزء من المجتمع الجزائري، فإن واقع الاستعمال اللغوي فيه ذو صلة وثيقة بالواقع اللغوي الجزائري عموماً، وكان لا بد من التعرض له، وممن فصل في دراسة هذا الواقع، خولة طالب الإبراهيمي في مقالها (L'Algérie: coexistence et concurrence des langues)، والذي تشير فيه إلى التعدد اللغوي الذي يعدّ عموماً عاملاً مساعد الحدوث الصراع أو التعايش فيما بين اللغات، وهي ظاهرة لسانية اجتماعية جعلتنا نستعين ببعض الكتب المرجعية في هذا المجال، مثل كتاب (حرب اللغات) لـ لويس جون كالفي، وكتاب (اللسانيات الاجتماعية عند العرب) لـ هادي نهر، وقد استفدنا من هذه المراجع وغيرها في تحليل النتائج المتحصل عليها عن طريق الاستبيان.

إجراءات الدراسة الميدانية

منهج الدراسة وأدواتها

حين يتعلّق الأمر بظاهرة لسانية اجتماعية فإن الدراسة الميدانية من أنجع الوسائل التي يقارب بها الباحث الظاهرة المدروسة بغية الوصول إلى حقيقتها، لذلك اعتمد البحث على استبيان من خلال اختيار عدد من الأسئلة عن اللغتين العربية والمزابية تتعلّق بمدى الاهتمام بكل منهما وإتقانهما وحجم استعمالهما بشكل عام، ثم مدى مناسبتها لمجالات محدّدة أساسية في الاستعمال اللغوي كالتواصل الاجتماعي والاكتساب المعرفي، مع الاعتماد في تحليلها على الإحصاء والمقارنة بغية التوصل إلى تصوّر عام للواقع اللغوي في مجتمع بني مزاب وتفسيره.

عينة الدراسة

استهدف الاستبيان عينة من مجتمع الدراسة تضمّ ستة وعشرين (26) فرداً منهم (50%) من الذكور و(50%) من الإناث. جميعهم من ساكنة قصر بني يزجن، وقد تمّ اختيار قصر بني يزجن تحديداً باعتباره أحد قصور وادي مزاب المشهورة، وكونه القصر

الوحيد الذي لا يقطنه سوى الأمازيغ، ويتحدّث الغالبية القصوى من ساكنته بالمزابية أساسا، وقد تمّ توزيع الاستبيانات على العينة المختارة مع الحرص على تنوّع أفرادها من حيث توجههم المعرفي ونشاطهم المهني ومحيطهم الاجتماعي...، وكونهم من طبقة المثقفين في المجتمع.

وقد تم بناء الاستبيان على أساس سؤال أفراد العينة المدروسة عن مدى اهتمامهم باللغتين العربية والمزابية المتجاورتين وإتقانهم لهما أو لإحدهما دون الأخرى، كما ضم الاستبيان أسئلة تتعلق بمجالات الاستعمال لكل من اللغتين، وذلك من أجل تحديد نسب الحضور الفعلي للغتين في حياة المستجوبين، وهو ما يفيدنا في استنتاج مستوى التعايش المفترض بين اللغتين في هذا المجتمع.

عرض نتائج الدراسة

كشفت عملية الاستبيان الموجه إلى العينة المختارة عن نتائج تعطي إلى حد ما تصورا عن الواقع اللغوي لهذا المجتمع، وعلاقته بكل من اللغتين المزابية والعربية؛ فمن حيث الاهتمام، كانت النتائج كالتالي:

جدول (1) نسبة المهتمين باللغتين العربية والمزابية

اللغة المهتم بها أكثر	المزابية	العربية	اللغتان معا
العدد	6	4	16
النسبة %	23.08 %	15.38 %	61.54 %

فكلا اللغتين تحظيان مجتمعتين بدرجة الاهتمام نفسها لدى غالبية العينة المستجوبة، والتي تفوق 60 % كما هو موضح في الجدول، مع وجود أسباب مشتركة للاهتمام عبّر عنها أفراد العينة؛ كمحبتهما أو اعتبارهما جزءا من الهوية، وأسباب أخرى تختلف بين اللغتين سواء لدى المهتمين بكليهما أو بإحدهما أكثر من الأخرى، وكان أكثر الأسباب ترددا في أجوبة العينة؛ كون المزابية اللغة الأم أو الأصلية والتي تجسّد الانتماء إلى المجتمع المزابي مما أشار إليه 53.84 % من العينة، أما بالنسبة للغة العربية فقد تعددت أسباب الاهتمام وتنوّعت الأجوبة تبعا لذلك.

وكما أجابت أغلبية أفراد العينة باللغتين معا من حيث نسبة إتقانهما معا، وهو ما يظهره الجدول الآتي:

جدول (2) نسبة المتقنين للغتين العربية والمزابية

اللغة المتقنة أكثر	المزابية	العربية	اللغتان معا
العدد	2	6	18
النسبة %	7.69	23.08	69.23

إذ تقدّر نسبة المتقنين للغتين معا بـ 69.23 %، مع تسجيل ملاحظة مهمة وهي إتقان 23.08 % من العينة للغة العربية الفصحى أكثر من لغتهم الأم (المزابية). ورغم إتقان العربية الفصحى من قبل الأغلبية، وقبل ذلك الاهتمام بها، مما تظهره الإحصائيات السابقة، فإن النسب تميل إلى كفة اللغة المزابية من حيث الاستعمال كما يظهر لنا في الجدول الآتي:

جدول (3) نسب استعمال اللغتين العربية والمزابية

اللغة المستعملة أكثر	المزابية	العربية	حجم متساوٍ لكليهما	إجابة ملغاة
العدد	14	4	7	1
النسبة %	53.84	15.38	26.92	3.85

فالمزابية هي الأكثر استعمالاً حسب إجابات أكثر من نصف أفراد العينة في حين ترى نسبة معتبرة من بقية العينة (26.92 %) تماثلاً في حجم استعمال كل من اللغتين. ومن المجالات الحيوية التي تستخدم فيها اللغة (التواصل الاجتماعي) الذي سئلت عنه العينة، فكانت النتائج كالآتي:

جدول (4) نسبة استخدام اللغتين العربية والمزابية في التواصل الاجتماعي

اللغة المناسبة للتواصل الاجتماعي	المزابية	العربية	اللغتان معا	إجابة ملغاة
العدد	13	4	7	2
النسبة %	50	15.38	26.92	7.69

وقد توافق تقدير العينة لحجم استعمالها لكل من اللغتين مع نسبة استخدامها لهما

في مجال (التواصل الاجتماعي) إلى حد كبير مما يمكن ملاحظته بالمقارنة بين ما جاء في الجدولين السابقين. أما المجالات الأخرى فنتائجها مفصلة فيما يأتي:

جدول (5) نسب استخدام اللغتين العربية والمزایبية في مجالات مختلفة

المجال	العينة	تفضيل المزایبية	تفضيل العربية	تفضيل اللغتين	إجابة ملغاة
التواصل الإداري والرسمي	العدد	0	21	5	/
	النسبة %	0	80.77	19.23	/
المجال المعرفي	العدد	1	20	5	/
	النسبة %	3.85	76.92	19.23	/
المجال الفني	العدد	8	4	13	1
	النسبة %	30.77	15.38	50	3.85
المجال الديني	العدد	6	8	11	1
	النسبة %	23.08	30.77	42.31	3.85

فالأبرز في إجابات العينة هو النسبة الكبيرة التي اعتبرت اللغة العربية هي الأنسب للتواصل الإداري والمجال المعرفي، أما المجالين الفني والديني فقد فضلت نصف العينة تقريبا التعامل بكلتا اللغتين، وفضلت الأغلبية في النصف الثاني اللغة المزایبية للفن واللغة العربية للدين.

وتجدر الإشارة إلى أنّ إلغاء بعض الإجابات مما يظهر في الجداول المعروضة يرجع إلى عدم الإجابة عن سؤال معين أو عدم وضوح الإجابة أو خروجها عن المطلوب، وهي عموما تنحصر في بعض الأسئلة وتمثل نسبة ضئيلة في العينة مما لا يؤثر -برأينا- في تحليل النتائج.

مناقشة نتائج الدراسة

إن المقارنة بين النسب المسجلة في مختلف الأجابة التي قدمتها العينة المدروسة من المثقفين تفضي إلى استنتاجات مهمة تقودنا إلى الإجابة عن الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة، وهي كالآتي:

1. الاهتمام باللغة المزابية والحاجة إليها

ارتباط المجتمع المزابي بلغته الأم (المزابية) أمر طبيعي غريزي، وقد أثبتته نسبة الاهتمام والعناية بهذه اللغة في العينة المستجوبة من المثقفين سواء ممن يخصصونها باهتمام أكبر من العربية أو ممن يساؤون بينهما في درجة الاهتمام، إذ بلغت في المجمل 84.22٪، كما أثبت ذلك تماثل الإجابات في الغالب عن سبب العناية بها متمثلاً في كونها (اللغة الأم)، حتى إنّ أسلوب الإجابة عن السؤال لدى عدد من أفراد العينة يؤكد هذه العلاقة الوطيدة باستخدام (ياء المتكلم) في مثل قولهم (لغتي، هويتي، أصلي) أو إضافة عبارة (يجب الحفاظ عليها)... مما يدل على الاعتزاز بالانتماء والوعي بضرورة الحفاظ على هذا البعد المازيغي المزابي، وفي هذا الشأن يقول هادي نهر: «إنّ العلاقة بين اللغة وبين اعتزاز الجماعة بقوميتها، وتثبيت هذه القومية وإحيائها علاقة خطيرة الشأن» (نهر، 1998، ص 97)، وهو ما دفع نخبة من المثقفين إلى بذل جهود في سبيل الحفاظ على هذه اللغة وإحياء تراثها الأدبي وتعليمها، منها:

✓ كتاب في القواعد، بعنوان: (الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة المازغية «المزابية») من تأليف: إبراهيم عبد السلام وبكير عبد السلام، والذي صدر سنة 1996.

✓ قاموس ثنائي اللغة (مزابية – فرنسية)، صدر سنة 2011 بعنوان: (Dictionnaire: Mozabite – Français) من إعداد الباحثين أحمد نوح مفنون وإبراهيم عبد السلام.

✓ كتاب لتعليم اللغة المزابية: بعنوان (تيسلسلت ن وورغ) من تأليف عبد الوهاب حموفخار، صدر سنة 2015.

✓ دواوين شعرية باللغة المزابية: فقد صدر عدد من الدواوين بهذه اللغة لشعراء من وادي مزاب منها ديوان (إمطًاوَنَلْفَرْحُ) للشاعر عبد الوهاب حموفخار سنة 1984، وديوان (أولُ إنو) للشاعر صالح ترشين سنة 1996.

✓ إحياء التراث الأدبي المزابي: من خلال جمع النصوص الأدبية التراثية من أشعار وأمثال وغيرها في مؤلفات منها (ئدوَران نْ تُسكلا) إعداد: يوسف قاسم لعساكر سنة

2011، أو تبليغها للمجتمع بأشكال أخرى عن طريق فرق إنشادية وجمعيات ثقافية منتشرة في مختلف قصور وادي مزاب تهتم بالتراث، وتعمل على إحيائه بأعمال فنية كالإنشاد والمسرح أو بإقامة مسابقات أو ملتقيات... ومن الواضح أنّ لهذا النشاط الفني أثرا في المجتمع المزبای، وهو ما جعل نسبة 80.77٪ من العينة المستجوبة ترى أنّ المزبایة مناسبة للمجال الفني، بل إنّ منها 30.77٪ ممن يفضلها على العربية في هذا المجال. وعموما فإنّ المزبایة هي الأكثر استعمالا في الواقع اللغوي للمجتمع المزبای حسبما صرّحت به نسبة 53.84٪ من العينة المستجوبة، وذلك باعتبار الحاجة إليها بالأخص في التواصل الاجتماعي، وهو ما يفسر النسب المتقاربة المسجلة في بيان العينة للغة الأكثر استعمالا واللغة الأنسب للتواصل الاجتماعي، حتى إنّ النسبة التي فضّلت العربية على المزبایة في هذا المجال والمقدرة بـ 15.38٪، هي -فيما يبدو- لم تفهم السؤال لكون مصطلح (التواصل الاجتماعي) قد ينصرف إلى المنصات الالكترونية المخصّصة لهذا الغرض بما يصطلح عليه بـ (وسائل التواصل الاجتماعي)، والتي تغلب الكتابة فيها على المشافهة، فطبيعي أن تكون العربية هي الأنسب، لكن السؤال المطروح في الاستبيان يتعلّق بالتواصل بمختلف أشكاله والذي تغلب عليه المشافهة، وقلّما تستخدم العربية الفصحى في ذلك.

على أنّ ارتباط المجتمع المزبای باللغة العربية لم يختلف كثيرا عنه باللغة المزبایة، إذ بلغت نسبة المهتمين بالعربية فنة المستجوبة 76.92٪، وهي نسبة كبيرة في تقديرنا، بل إنّ منها 15.38٪ ممن يعتني باللغة العربية أكثر من عنايته بلغته الأم، وهو ما يدل على مكانتها الخاصة لدى هذا المجتمع.

2. الاهتمام باللغة العربية وإتقانها

إضافة إلى الاهتمام بالملاحظ باللغة العربية من خلال العينة المستجوبة، فإن نسبة المتقنين لها مرتفعة إذ بلغت 92.31٪ حتى إنّ منهم 23.08٪ يصرّحون بأنهم يتقنونها أكثر من المزبایة، وأن تحظى لغة غير اللغة الأصلية للمجتمع بهذا الاهتمام إلى درجة الإتقان يدلّ على وجود أسباب معتبرة لذلك يمكن تفصيلها فيما يأتي:

1.2. سبب سياسي

يتمثل في سياسة الدولة الجزائرية عموماً والتي اقتضت أن تكون اللغة العربية هي اللغة المعنى بها أكثر؛ بدراستها في حد ذاتها أو بالتدريس بها في مختلف العلوم والفنون في التعليم الإلجباري الأساسي، وقد عبّرت العينة عن ذلك بعبارات من مثل (لأنها لغة رسمية، لتعودي عليها طول مشواري الدراسي...)، وهو ما يفسّر كذلك تفضيل النسبة الأكبر من العينة للغة العربية في التواصل الإداري والرسمي، ذلك أنّ الدستور الجزائري ظل يعتبر اللغة العربية هي اللغة الرسمية والوطنية، ولم تندرج اللغة المازيغية في هذا الإطار إلاّ بعد التعديل الدستوري في 10 أفريل 2002 (ينظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، أبريل 2002، ص 13) والتعديل الذي تم في 06 مارس 2016 (ينظر: التعديل الدستوري، مارس 2016، ص 13)، حيث اعتبرت لغة رسمية ووطنية، وقد تجسّد ترسيم المازيغية في الواقع التعليمي بتدريسها، والذي لا يزال في بداياته، وهذا يقود إلى سبب آخر يتعلق بخصائص كل من اللغتين في واقع الاستعمال اللغوي.

2.2. سبب لساني اجتماعي

ويتعلّق الأمر بالشفوية الطاغية على اللغة المزابية أو المازيغية عموماً، وبالتالي قلّة الكتابات سواء حولها أو بها، حتى إن هناك اختلافاً حول طريقة كتابتها... مقابل ما تتميز به اللغة العربية من طواعية مشافهة وكتابة، وكثرة التأليف حولها وبها... وهو ما يفسّر تفضيل النسبة الأكبر من العينة للغة المزابية في التواصل الاجتماعي الذي تغلب عليه الشفوية، وتفضيلها للغة العربية في المجال المعرفي الذي تعدّ الكتابة والقراءة فيه أمراً أساسياً، وقد عبّر بعض المهتمين بالعربية من العينة عن ذلك بقولهم (أطالع بها، ارتباطها بالمرورث الحضاري المدوّن)، وهذا الواقع إضافة إلى ما سبق ذكره عن السياسة اللغوية في الجزائر هو الذي أدّى كذلك إلى أن تكون نسبة المتقنين للعربية (92.31%) في العينة المستجوبة أكبر من نسبة المتقنين للمزابية (76.92%).

ثم إن المجتمع المزابي جزء من المجتمع الجزائري المتكون من عرب وأمازيغ، وإذا كان الأمازيغ يفهمون العربية والمازيغية ويتعاملون بهما، فإن قلّة من العرب تفهم المازيغية

والقلة من هذه القلة تستخدمها، لذلك تعتبر العربية هي اللغة المشتركة بين الجزائريين مما يسهل التواصل بها فيما بينهم أكثر من التواصل بالمزبغية، وهو ما عبّر عنه أحد أفراد العينة بقوله عن العربية (الجميع يفهمها).

لكن تظل المزبغية هي الأكثر استعمالاً في واقع المجتمع المزباني، وهو ما يقود إلى تقرير سبب آخر لارتباط المجتمع باللغة العربية رغم كونه يحتاج إلى المزبغية أكثر، ويتعلق الأمر بالدين.

3.2. سبب ديني

لقد تعددت الأسباب التي برزت بها العينة المستجوبة اهتمامها باللغة العربية، لكن السبب المتفق عليه أكثر هو الدين، ومن ذلك قول أحدهم (العربية لغة ديننا)، فالمجتمع المزباني مسلم، وكون الإسلام ديناً للبشرية جمعاء لا ينفي حقيقة أنه نزل في بيئة عربية، مما يجعل المسلمين باختلاف أجناسهم ولغاتهم على صلة روحية بهذه اللغة فضلاً عن حاجتهم إليها، وهذه العلاقة بين الإسلام والعربية هي التي ساعدت على انتشارها في البلاد غير العربية زمن الفتوحات حسبما أشار إليه عبده الراجحي في كتابه (علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية)؛ إذ يقول: «للعربية تجربة فريدة في الانتشار خارج الجزيرة العربية، وفي فترات زمنية قياسية (...) ومهما يكن من نقص المعلومات الموثقة فإنّ الذي لا شك فيه أنّ العربية انتشرت هذا الانتشار في نوعه وفي سرعته؛ لأن الإسلام والعربية كانا شيئاً واحداً، ولم يكن يُتصور فصل أحدهما عن الآخر» (الراجحي، 1995، ص 115)، وهو ما حدث للأمازيغ في الشمال الإفريقي ومنهم بنو مزاب، والذي نزل بلسان عربي مبين، مما يجعل التعمق في الكريم الذي يعتبر دستور هذا الدين، والذي نزل بلسان عربي مبين، مما يجعل التعمق في فهمه، يتطلب معرفة بهذه اللغة، وهو ما عبّر عنه بعض أفراد العينة في مثل قولهم معلّين اهتمامهم بالعربية إنّها (لغة القرآن) أو (لا يمكن الاستغناء عنها لوجود القرآن الكريم وعلوم الدين).

ومن الذين تحدثوا عن دور الدين عموماً والقرآن بالأخص في دفع المجتمع المزباني إلى الاهتمام باللغة العربية يوسف بكير الحاج سعيد في كتابه (الهوية المزبغية) إذ يقول: «إنّ

بني مزاب يتعلقون باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، اللغة التي اختارها الله تبارك وتعالى لمخاطبة عباده في آخر الرسالات، وباعتبارها لغة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم. وهم بتعلمها وإتقانها، يتعاملون مباشرة مع النصوص الشرعية الإسلامية» (الحاج سعيد، 2014، ص 30)، وفي المقولة إشارة مهمة إلى أن المجتمع المزابي يسعى إلى إتقان هذه اللغة وليس مجرد فهمها ليتمكن من دراسة النصوص الشرعية بنفسه لا عن طريق غيره.

ونجد هذا الهدف مجسدا في مختلف المدارس القرآنية الحرة المنتشرة في وادي مزاب مثل: الجابرية والحياة والإصلاح والفتح... إلخ، إذ يحرص المجتمع المزابي على أن ينشأ أبناؤه نشأة دينية من خلال مدارس للذكور وأخرى للإناث تعمل على تحفيظ القرآن وتعليم أمور الدين وتولي اللغة العربية الفصحى عناية خاصة، وقد سبق للمخبر البحثي الذي ننتمي إليه أن أقام دراسات حول هذا الموضوع منها مداخلة بعنوان (دور التعليم القرآني في تعريب المشهد الثقافي الميزابي المعاصر في الجزائر) ذكر فيها الباحث يحيى بن يحيى أدلة عدة تؤكد الدور الأساس لهذه المدارس القرآنية في عملية التعريب في الجنوب الجزائري عموما والأسس الدينية والسياسية والثقافية التي بُنيت عليها هذه العملية، ومن بينها محاربة سياسة طمس الهوية التي انتهجتها فرنسا في فترة الاستعمار، ثم دعم السياسة اللغوية في الجزائر بعد الاستقلال... وذلك بتدريس القرآن والعلوم الشرعية، واعتماد العربية لغة للتخاطب وطلب العلم خدمة للدين والوطن... وكانت النتيجة التفوق الملاحظ لطلبة هذه المدارس وظهور نخبة من الكتاب والشعراء والخطباء... الذين كان لتكوينهم في هذه المدارس أثر في تعلّمهم باللغة العربية وإتقانها واتخاذها وعاء لتأليفهم وإبداعاتهم وخطبهم... (ينظر: بن يحيى، 2017، ص 4 - 10)، وهذا لا يعني أن الخطاب الديني في وادي مزاب يقتصر على اللغة العربية، فللغة المزابية حظها في هذا المجال إذ تظل الأكثر انسجاما مع طبيعة المجتمع وتراثه والأقرب إلى الأفهام، وهو ما جعل النسبة الأكبر من العينة المستجوبة تفضل اللغتين معا في هذا المجال، وهو ما يؤكّد لنا وجود تعايش بينهما.

3. التعايش بين اللغتين العربية والمزابية

رغم وجود نسبة من العينة المستجوبة من المثقفين تهتم بإحدى اللغتين أكثر من الأخرى، أو تتقنها أكثر، فإنّ النسبة الأكبر من العينة أكّدت على المساواة بين اللغتين في الاهتمام وفي الإتقان، حتى قال أحد أفرادها في تعليقه لسبب الاهتمام بكلتا اللغتين إنّه (لا يوجد فرق)، وهذا يدلّ على أنّ المجتمع المزابي في أغلبيته يضعهما في المرتبة نفسها رغم اختلاف أسباب ارتباطه بكل منهما، وهنا نفهم أن المجتمع تبني اللغة العربية من غير أن يتخلّى عن اللغة المزابية، إلى درجة أن يجعل منهما مكوّنين مهمّين لهويته وشخصيته لا يستطيع التخلي عنهما؛ وفي هذا المعنى يقول أحد أفراد العينة عن اللغتين (فهّما معا اعتبرهما رمزا لهويتي وشيء متجذري)، وأكثر من ذلك قول آخر (كلاهما لغة أمّ بالنسبة إليّ)، فالمجتمع من هذا المنطلق في أغلبيته لا يتعصب للغته الأمّ المزابية على حساب العربية، كما لا يرى أنّ العربية خطر على لغته المزابية، وهو ما أشار إليه عبد الله نوح في بيانه للأسباب التي تجعل المجتمع المزابي لا يرى ضرورة لتعليم اللغة المزابية، ومنها شعوره بالأمن اللغوي لكونه يحافظ على لغته باستخدامها وتناقُلها من جيل إلى جيل، وفي الوقت نفسه يوظّف اللغات الأخرى المستخدمة في الجزائر ومنها العربية الفصحى في المقام المناسب لكل منها، فهو في سلام مع هذه اللغات (Voir: Nough, 2017, p.113-114)، والسلام يعني التعايش، رغم أنّ الميزان يختلّ في بعض الجوانب فتميل الكفة لصالح إحدى اللغتين على حساب الأخرى نظرا إلى اختلاف طبيعة كل منهما وإمكانياتها وحقيقة استعمالها واقعيًا، مما يمكن ملاحظته في أجوبة العينة عن اللغة المناسبة أو المفضلة لكلّ من المجالات الاجتماعية والإدارية والمعرفية والدينية، لكن يظلّ المظهر الغالب هو التوازن، وقد لخصّ أحد أفراد العينة هذه النظرة بقوله (الثنائية: اعتدال وتوازن).

لقد لاحظنا من خلال هذه الدراسة أنّ المجتمع المزابي وإع بأهمية كلّ من اللغتين للأسباب السابق ذكرها وبضرورة الحفاظ عليهما معا، وفي هذا المعنى يقول أحد المستجوبين: (لكل لغة مجال مهمّ للتعامل بها وواجب الاهتمام بهما والاهتمام بتطويرهما)، وهذا الوعي هو الذي يحقق التعايش بين اللغتين ويمنع طغيان إحداها

على الأخرى أو يحدّد من الآثار السلبية لذلك، مما يمكن أن يحدث عند تصارع اللغات. ويبدو أنّ هذا التعايش ضارب في التاريخ إذ يقول إبراهيم بن بكير بحاز في إطار حديثه عن الدولة الرستمية في القرنين الثاني والثالث الهجريين: «لم يقف البربر أمام العربية، كما لم تكن البربرية في صراع مع العربية أو منافسة لها يوما من الأيام» (بحاز، 1985، ص 349)، كما انتقد الكاتب من يستخدم مصطلح (الصراع) في حديثه عن البربرية والعربية ويرى أن العلاقة بينهما تكاملية (ينظر: بحاز، 1985، ص 349)، وهو في رأينا أحسن وصف للعلاقة بين اللغتين آنذاك وإلى يومنا هذا.

خاتمة

لقد أثبتت نتائج الدراسة وجود تعايش لغوي بين اللسانين العربي والمزابي في المجتمع المزابي، انطلاقا من الارتباط بهما معا، مع اختلاف العوامل التي أدت إلى ذلك، فالارتباط باللغة المزابية يعود إلى عاملين رئيسيين:

أولا: كونها اللغة الأم التي يرتبط بها الإنسان غريزيا.

ثانيا: كونها تجسّد الانتماء إلى المجتمع المزابي وتحفظ تراثه.

أما الارتباط باللغة العربية فيعود إلى:

أولا: السياسة اللغوية في الجزائر باعتبارها لغة رسمية وتأخر اندراج اللغة المزابية في هذا الإطار.

ثانيا: الحاجة إليها في التدوين، والتواصل بين أفراد المجتمع الجزائري كلغة مشتركة.

ثالثا: كونها لغة القرآن الكريم والحاجة إليها في قراءته وفهمه وتعلّم أمور الدين.

وقد تجسّد هذا الارتباط في مدى الاهتمام باللغتين معا وإتقانها وتوظيف كل منهما في واقع الاستعمال اللغوي حسب المجال المناسب لها، وهو مما يدعو إلى بذل جهود من أجل الحفاظ عليهما، مما يظهر بالنسبة للغة المزابية في محاولة ضبط قواعدها وترقيتها بإخراجها من الطابع الشفوي الغالب عليها والتأليف الأدبي بها... وبالنسبة للغة العربية من خلال الحرص على تعليمها، وللمدارس القرآنية الدور الأساس في ذلك.

ومنه فإنّ التعايش اللغوي في المجتمع الواحد ظاهرة متجسدة في الواقع وممكنة

الحدوث تضمن لكل من اللغات المتجاورة العیش بسلام وتعتمد فی الأساس علی التفاعل الإیجابی للمجتمع مع كل منها، بما یقلل من الآثار السلیبة للصراع اللغوی، بل وقد یسهم فی ترقية اللغات وتنمیة المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- بحاز، إبراهيم. (1985). الدولة الرستمية (160 . 296 هـ - 777 . 909 م): دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية). الجزائر: مطبعة لافوميك.
- بن يحيى، يحيى. (2017). دور التعليم القرآني في تعريف المشاهد الثقافي الميزابي المعاصر في الجزائر. دبي: المجلس الدولي للغة العربية. المؤتمر الدولي السادس للغة العربية. الإمارات: المجلس الدولي للغة العربية. تم الاسترجاع من الرابط <https://www.arabiahconferences.org>.
- التعديل الدستوري: المادة 04 . 06 مارس 2016. تم الاسترجاع من الرابط <https://www.joradp.dz/trv/acons.pdf>.
- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية: العدد 25. 14 أبريل 2002. تم الاسترجاع من الرابط <https://www.joradp.dz/trv/acons.pdf>.
- الحاج سعيد، يوسف. (2014). الهوية المزابية (أهم عناصرها وتشكلها عبر التاريخ) (ط 2). غرداية: المطبعة العربية.
- الراجحي، عبده. (1995). علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية. الإسكندرية: دارالمعرفة الجامعية.
- غرانغيوم، جليبير. (1995). اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي. محمد أسليم (مترجم). مكناس: الفارابي للنشر. تم الاسترجاع من الرابط http://aslimnet.free.fr/traductions/g_guillaume/L_pouvoir/pouv4.htm.
- كالفي، لويس جان. (2008). حرب اللغات والسياسات اللغوية. حسن حمزة (مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. مركز دراسات الوحدة العربية.
- نهر، هادي. (1998). اللسانيات الاجتماعية عند العرب. الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع.

باللغة الأجنبية

- Ibrahim, K. (2004). L'Algérie: coexistence et concurrence des langues. *L'Année du Maghreb*. CNRS éditions. Paris: Open Edition journal repéré à <https://journals.openedition.org/anneemaghreb/305?la>.
- Nouh, A. (2017). La vitalité du dialecte mozabite dépend-elle essentiellement de son enseignement officiel?. *Timsal N tamazight*. CNPLET. Alger repéré à N°08. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/33061>.